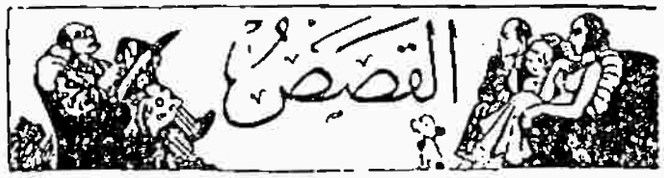

الاعـــتزال !

للكاتب الانجليزى هانفورد هونسون

بقلم الأديب سيد أحمد قناوى

غطت الآنسة « ويلدون » آلة الكتابة بعد أن نال منها الملل وأدركها الكلال ثم ارتدت معطفها الخفيف الداكن اللون ألقت نظرة سريعة على المنضدة الكبيرة التى أمامها ثم أطفأت مصباح الصغير لتبارح مكان عملها .

كانت قد تأخرت عن موعد انصرافها من العمل كل ليلة ، لكل الغرف قد أقفرت من شاغليها وأمست العمارة الكبيرة صمت موحش ، وسكون رهيب ... ولكنها لم تكن فى حاجة الى الإسراع فى العودة إلى منزلها الصغير ، فليس هناك من تنتظرها ...

وهذا العمل ينصبها إلى حد ما عزلتها الموحشة التى تعيش بها فضلا عن أن تأخرها يساعدها على أن تجد مقعداً فى السيارة ستريح فيه من عناء يوم قضته فى العمل بدون انقطاع ولا فتور .

كانت الآنسة « ويلدون » قد بلغت السادسة والثلاثين من عمرها ... ولم تسعد بما تسميه الفتيات « اللحظة السعيدة » ؛ فهى تحظ بزوج يخفف عنها أعباء الحياة ، ولم تعرف رجلا شريفاً تذهب بها إلى « دوراليا » ، ولم يقدرلها قط أن تجد شابا عند الباب ينتظرها ليتأبط ذراعها ويسير بها إلى حيث يعلم هو وحده . كانت قد سمعت بهذا كله همساً من الفتيات الكثيرات اللاتى عملت إلى جانبهن ... ولكنها هى لم تعرف حقيقة الشاعر التى تجىء فى ضوء هذه الحوادث ... ومع ذلك فهى سعيدة بعملها سعيدة بغرفتها الصغيرة فى (بيزووتر) . وبذلك الطريق الهادىء الذى تقطعه على قدميها كل صباح وسط « كنجستون جاردنز » ، فاذا أظلم الليل وعادت إلى غرفتها وجدت فرصة طيبة لتتناول كوباً من الشاى ثم لتأكل بعض البيض والجبن ثم تنصرف إلى المطالعة ...

وتذكرت « الآنسة ويلدون » وهى تهبط الدرج إلى باب المنزل أن برنامج الإذاعة جميل ، وعلى هذا فستستطيع أن تقضى بعض الوقت فى سماع الموسيقى ؛ وقد تستطيع بعد ذلك أن تضطجع فى فراشها لتقرأ قصة من القصص العاطفية التى تدخرها لاحظات العزلة .

وبلغت الآنسة « ويلدون » الطريق ولكنها وجدت ما أدهشها ... فقد كانت السماء تمطر مطراً خيل إليها أنه يزداد لحظة بعد لحظة ، وصدمتها هذه الحقيقة فهى لم تفكر فى هذا المطر ولم تتوقعه . ثم إن معطفها الخفيف لا يمكن أن يرد عنها البرد وإن رد عنها وقطرات المطر إلى حين ، وضاقت بالمارة الكثيرين الذين يسرعون الخطى إلى محطة السيارات لأنها ان تجد المقعد الخالى الذى ترجو أن تستريح فيه . وإنه لا يبقى أمامها إلا أن تسير على قدميها مسافة لا تقل عن ميل حتى تصل إلى محطة الترو ، وهى مسافة ليست قصيرة ولا يسيرة فى هذا المطر الوابل

ولكن الآنسة « ويلدون » تكره البقاء بلا عمل فجمعت أطراف معطفها حولها وراحت تجد فى السير ... وفجأة أحست يدا تلمس ذراعها فدارت على عقبيها لتجد نفسها أمام وجه باسم لرجل فى قرابة الثلاثين من عمره . قطبت الآنسة « ويلدون » حاجبيها ، فهى لا تعرف هذا العبث ولا تستمرئه ، ولكن الرجل لم يلبث أن قال لها فى هدوء :

— لا تسرعى هكذا ، أن ثيابك مبللة .. خذى هذا .

ومدّ الرجل يده بمعطف من المعاطف التى تقى من المطر .. ودون أن تدرك ما تقول أجابت فى همس :

— شكراً لك .. إننى راضية بهذا البلل . .

ولعلها كانت تريد أن تضع حداً لهذه القصة التى لا تسيغها ولا تريدها . ولكن الرجل لم ينصرف بل قال :

— لا تكونى حمقاء . إنك تسيرين بنفسك إلى حتفك

فهمست قائلة :

— ولو كان هذا حقاً فماذا فيه ؟

فابتسم الرجل وهو يقول :

— ليس جميلا أن يموت الإنسان فى مثل هذه السن . تدثرى بالمعطف ، وانقذى هذا الصدر الجميل .

وكان صوت الرجل قوياً يحمل على الطاعة ، وكان جديداً على سمعها لم تعرفه من قبل ، وهى إلى جانب هذا فى حاجة إلى هذا المعطف ، فلم تشعر إلا بالمعطف حول جسمها ، فمدت ذراعيها لتستكمل ارتداءه ثم ضمت أطرافه حول صدرها وهى تقول :

— ولكن ماذا تصنع أنت ؟

— إن ثيابى غليظة ، وأنا رجل .

— شكراً لك .

ولم تكن الآنسة «ويلدون» تعرف ما تقول ، فهى لم تشعر قط بأنها كانت يوماً ما موضع عناية أو اهتمام من أحد ، اللهم إلا مستر « بردفور » الشيخ الذى تعمل سكرتيرة له ، ولكن شتان بين هذا وذاك ! على أن الذى كان يشغلها هو ماذا يكون بعد هذا ...

ولم تلبث الدهشة أن استولت عليها عند ما سمعت الرجل يقول لها :

— هل تناولت الشاى ؟

ولم تكن فى الواقع قد تناولت شيئاً بعد الظهر ولهذا أجابت بسرعة : — لا ...

ولعلها أحست فى سؤال الرجل أنه يدعوها إلى قدح من الشاى ؛ وهى وإن كانت حقاً فى حاجة إلى شراب ساخن بعد أن بللها المطر إلا أنها لم تكن لها خبرة بمثل هذه الدعوات فاعتذرت شاكرة ، ولكن الرجل تظاهر بأنه لم يسمع شيئاً وقال :

— هيا بنا ، هناك مكان دافىء نجد فيه حاجتنا .

ولدهشة الآنسة « ويلدون » رأت نفسها تسير إلى جانب الرجل وقد تأبط ذراعها ، وأحست بأصابعه تلامس صدرها ..

ورأت كأنها تقرأ قصة من قصص الفراغ التى تدخرها لوقت النوم . وولجا الباب وأعجبها المكان كما لذها الدفء فلما انتحيا ركنا بجوار المدفأة قال الرجل وقد تهلل وجهه :

— الآن تستطيعين أن تخلعى المعطف حتى تجف ثيابك .

ورجت هى أن تهنأ بلحظة سعيدة كهذه اللحظات التى سمعت عنها فأطاعت الرجل وراحت تحتسى الشاى فى سكون .

ومرت اللحظات فى أحاديث عن الجو والرياضة ، وفجأة نظر الرجل فى ساعته ثم قال :

— يا إلهى ! لقد كدت أنسى أن أمى دعتنى إلى العشاء هذه الليلة . لقد أعدت لى دجاجة كبيرة ... إننى أتركك الآن ؛ ولكن لا تسرعى فى الخروج فسأدفع للساقى ثمن الشاى .

— ولكن كيف أرد إليك معطفك ؟ وكانت وهى تقول ذلك تأمل أن يتفقا على موعد لعله يكون فى الغد . وضحك الرجل ضحكة مرحة ثم قال :

لقد نسيت هذا ... على أية حال هذه بطاقتى إذا شئت أن تتحدثى إلى فى أمر المعطف . ومد الرجل يده بالبطاقة ثم انصرف . وظلت الآنسة « ويلدون » برهة فى شبه حلم ، فقد كان الحادث كله غريباً لم تألفه ، وكان كل ما مر بها منذ أن تركت مكان عملها يرغمها على أن تفكر فى أشياء لم تكن لتتوقع حدوثها قط .

وألقت نظرة خاطفة على البطاقة فقرأت فيها :

« جون برونت » وكيل شركة المعاطف الواقية من المطر .

ولفيت فى طرف البطاقة إشارة تلفت النظر إلى ما خط فى ظاهر البطاقة ، فلما قلبت البطاقة قرأت ما يأتى :

« إذا أعجبك هذا المعطف فأرسلى لنا جنيها وعشرة شلنات وإلا فاتصلى بنا تلفونياً فنرسل إليك من يتسلمه منك » .

وبذلك تبددت أحلام الآنسة « ويلدون » ومرت بها قصة عاطفية قصيرة كلفتها جنيها وعشرة شلنات ولكنها أبقت لديها أثراً لما هو معطف جديد المطر ...

وهكذا انصرفت الآنسة « ويلدون » عن الناس وآثرت أن تعيش على هامش الحياة .

سيد أحمد قناوى